المحاضرة الثالثة: نشأة وتطور المؤسسة الاقتصادية

إن المؤسسات الاقتصادية المختلفة التي نراها في الواقع اليوم، لم تظهر بأشكالها الحالية من أول مرة، بل كان ذلك نتيجة لعدة تغيرات وتطورات متواصلة ومتوازية مع التطورات التي شهدتها النظم الاقتصادية والاجتماعية، والحضارات البشرية، ونظرا لأن المؤسسة الإقتصادية تمثل النواة الأساسية للنشاط الاقتصادي للمجتمعات، فإنه لا يمكن أن تدرس بشكل منفصل عن المجتمع الذي تطورت فيه زمنيا ومكانيا، خاصة المجتمع الرأسمالي وما قبله، حيث أخذت المؤسسة في تطورها بذلك عدة أشكال هي:

1- **الإنتاج الأسري البسيط**: كان الإنتاج في هذه المرحلة بدائيا فقط لتلبية حاجات الإنسان الأولية من ماء، مسكن، ملبس، مأكل، بالتالي كان يعتمد على الزراعة بشكل أساسي إضافة إلى الحرف اليدوية البسيطة، ولم تكن هناك تبادلات تجارية واسعة، كما غلبت المقايضة في تبادل الأدوات البسيطة والمنتجات الحرفية والزراعية، وأهم الحرف اليدوية التي كانت سائدة آنذاك النجارة، الحدادة، الدباغة، صناعة الجلود والنسيج حيث كان كبير الأسرة يدير العمل وينقل الحرفة للأبناء، وبازدياد عدد الأفراد وتوفر عوامل التحرر انتقل النشاط بالتدرج من الطابع القروي إلى الطابع الحضري، وتحرر العمال من الحقول والفلاحة إلى ممارسة بعض الحرف، وتشكيل وحدات حرفية.

2- **الوحدات الحرفية:** بتحرر العمال أو الفلاحين وتكوينهم لتجمعات سكانية حضرية ارتفع الطلب على المنتجات الحرفية، وهنا ظهر عمال مستقلون في منازلهم، ومن ثم انتقل العمال إلى محلات وورشات تجمع أصحاب الحرف المتشابهة تحت إشراف كبيرهم أو رئيسهم واتسعت لتظهر في شكل وحدات حرفية تميزت بعلاقات عائلية وتنظيم أفقي بين المعلم والصانع والمتتلمذ تحت إشراف المعلم الأقدم، لكن الإشراف في هذه الورشات أخذ الطابع الوراثي فيما بعد، أما باقي العمال (الصناع) فلم تتم ترقيتهم إلى رؤساء للورشات بالتالي أصبح الصناع عمالا أجراء، ومن هنا نشأت جمعية العمال لحماية حقوقهم (نشأت في القرن 17 وهي أصل النقابات الحالية)، كما أن رؤساء هذه الوحدات الحرفية حولوا التجمعات الحرفية إلى تجمعات تجارية بعد ثرائهم، إضافة إلى الدور الذي لعبه ظهور طبقة الوسطاء التجار الذين صارو يحددون للحرفيين مواصفات المنتجات التي يرغبون فيها، ومع التغيرات التي سبقت الثورة الثقافية والصناعية في أوروبا بدأت هذه الوحدات الحرفية بالتلاشي، خاصة عندما ظهر حرفيون مستقلون (تحت إشراف تجار) ينافسون هذه الوحدات الحرفية، وخروج الصناع عن الانضباط الجماعي نظرا للصعوبات التي يفرضها عليهم رؤساء الورشات، كما ظهرت عملية تخزين السلع وبيعها بالجملة ما أدى إلى ثراء الطبقة التجارية وهي التي أسهمت فيما بعد في الانقلاب الصناعي بأوروبا.

3- **النظام المنزلي للحرف:** اعتمد التجار الرأسماليون في هذه المرحلة على عدة أساليب لكسب الثروة، فبالإضافة إلى التعامل المباشر مع الحرفيين المستقلين ، قاموا بتموين الأفراد في منازلهم بكل ما يحتاجونه على أن يقدموا لهم في المقابل سلعا بالمواصفات التي يطلبونها، وقد شاع هذا الأسلوب لدى الأسر الريفية التي كانت تعتمد على الإنتاج المنزلي للحرف إضافة إلى نشاطها الفلاحي لتغطية حاجتها، وتميزت هذه المرحلة بزيادة نفوذ التجار على الحرفيين على اعتبار أنهم أصحاب وسائل ومواد العمل، أما الحرفيون فلا يملكون سوى عملهم.

4- **المانيفاكتورة Manifacture:** تعتبر الشكل الأولي للمصنع، ونتجت عن تراكم الثروة لدى التجار وزيادة الطلب، حيث جمعوا الحرفيين تحت سقف واحد لمراقبتهم، و تقوم على استعمال أدوات بدائية يدوية، وتخضع مختلف

العمليات الإنتاجية فيها إلى صاحبها وليس للحرفيين، كما كان في المراحل السابقة، بينما يقتصر دورهم على تنفيذ أوامر التاجر، وقد أخذت المانيفاكتورة شكلين:

الشكل الأول: يجمع عددا من الحرفيين في حرفة معينة، يقومون بجزء معين من مجموع مراحل عملية الإنتاج.

الشكل الثاني: يجمع عددا من الحرفيين ذوي حرف مختلفة يساهم كل منهم في تحقيق المنتج.

كانت المانيفاكتورة منعطفًا رأسماليًا، لكنها عانت من ضعف التقنية وعدم انضباط العمال.

5- المؤسسة الصناعية الآلية: لقد عانت المانيفاكتورة من عدم انضباط العمال، لأنهم اعتادوا على العمل لصالحهم بالشروط التي تناسبهم من حيث الإنتاجية أو توقيت العمل، والهجرات المتتالية، إضافة إلى التطورات السريعة والاكتشافات العلمية الصناعية والاختراعات التقنية، وهنا بدأت المؤسسة الصناعية الآلية بالظهور وتميزت باستعمال الآلات واستعمال الفحم والطاقة التجارية مما زاد من المردودية والإدارة المحكمة للعمال، كما تميزت أيضا بتطور الجهاز المصرفي والشركات التجارية والملاحية وازدياد النمو الديموغرافي واتساع السوق والإحتكارات وكذا الحركات الإستعمارية التي ساهمت في ظهور مؤسسات كبرى على مستوى عدة دول.

6- المؤسسة الحديثة: بعد انتهاء الحربين العالميتين وخاصة بعد مخطط مارشال تم الاعتماد على المعلوماتية واستعمال الطاقة الشمسية، الكهربائية، الذرية، وازداد تكتل المؤسسات للمحافظة على مصالحها التي أصبحت مهددة من المنافسة الشديدة، فظهرت المؤسسات العملاقة في عدة أشكال، شركات متعددة الجنسيات، الكارتل (تحالف إحتكاري بين مؤسسات مستقلة لتحديد الأسعار والأسواق)، التروست (عمليات اندماج واستحواذ بين مؤسسات تفقد استقلالها لتحسين المردودية)، الشركات القابضة أو الهولدينغ (شبكة مؤسسات تحت سيطرة مالية دون فقدان استقلالها القانوني) وغيرها.

وظهرت أيضا الشركات متعددة الجنسيات وهي المؤسسات التي تمارس نشاطها في عدة بلدان، مع فروع مستقلة نسبيًا مرتبطة بإدارة أم، حيث توسعت هذه المؤسسات عالميًا للاستفادة من تكاليف منخفضة، الوصول لأسواق جديدة، وتقليل المخاطر.

7- ظهور المؤسسات الافتراضية: مع بداية الألفية الجديدة، أدى انتشار الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات إلى اعتماد الرقمنة على نطاق واسع، مما غير مناخ الأعمال. اضطرت المؤسسات لدمج التكنولوجيا الرقمية، محولة العمليات اليدوية إلى رقمية، ومستبدلة التقنيات القديمة بأخرى متطورة، لتكييف الأعمال مع بيئة رقمية متكاملة. هذا التطور أدى إلى ظهور المؤسسات الافتراضية. حيث اعتمدت هذه المؤسسات على فصل العمل عن الموقع الجغرافي، مستخدمة الشبكات لربط العاملين والعملاء والمزودين، عبر فرق عمل مؤقتة تنجز مهامًا محددة. وتتميز بتنظيم مرن يركز على العميل، وشبكات شركات مستقلة تشارك الموارد والأسواق، مستفيدة من التكنولوجيا لتحقيق ميزة تنافسية دون قيود تقليدية.